بطلة كربلاء زينب الحوراء عليها السلام بين السَّبي وإكمال الرسالة

الأستاذ المساعد الدكتور
رفاه عبد الحسين مهدي
جامعة كربلاء - كلية العلوم الإسلامية
rafaha.mahdi@uokufa.edu.iq

المقدمة:

إنَّ الكتابة عن عاشوراء مسألة فذّة تحتاج معها إلى سبر أغوار تاريخية وأخلاقية واجتماعية خصوصاً إذا كانت الكتابة فيها عن أشخاص ملكت نفوسهم طاعة إلهية تتمثل في طاعة الإمام وليبلغوا عنفوان التضحية والفداء بما قدّموه وما سجّلوه من مواقف ومُثل عليا يعجز عندها الوصف ويخشع دونها الطرف ولا يبقى للمدح في شموخها وكبريائها إلاّ الانزواء في خضم هذا الموج الهادر من الولاء والفداء لكن على الرغم من ذلك لم تزل عاشوراء بما حوته من مفردات وأحداث ومشاهد ومواقف وشخصيات محطة للتزود الفكري والدنيوي والأخروي؛ لأنّها خلاصة حركة النبوة والأنبياء عليهم السلام.

لذا اقتصر بحثنا على جانب مهم من جوانب الطف وهو مرحلة ما بعد استشهاد الحسين عليه السلام وما حالت إليه بنات النبوة وربيبات الرسالة وسليلات علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام من سبي وسلب والتعرّض لأقسى التحديات والخطوب وعلى رأسهن السيدة زينب عليها السلام التي يعود إليها الفضل الأكبر والثقل الكبير لقيادة مهام ما بعد الطفوف.

فاقتضت طبيعة البحث أن تكون على مبحثين يتقدمهما تمهيد بعنوان دور المرأة في الثورة الحسينية وتطرّق المبحث الأول إلى سبي السيدة زينب عليها السلام وموقفها منه في حين تناولنا في المبحث الثاني دورها عليها السلام في إكمال الرسالة الحسينية يعقبهما خاتمة بأبرز النتائج التي توصل إليها البحث .

التمهيد:

دور المرأة في الثورة الحسينية:

في تاريخ الإسلام الممتد وعلى مدى قرون عديدة نجد إنّ صورة المرأة تسطع فيه إلى

جانب صورة الرجل حتى في اشد المراحل خطورة وصعوبة فهو لم يكن تاريخاً ذكورياً محضاً كما لم يكن تاريخاً انثوياً محضاً بل هو تاريخ الإنسانية المشتركة بصورتها الآدمية لكلا الجنسين.

قد كانت المرأة حاضرة مع الرجل في تدعيم الدولة الإسلامية الفتية من خلال البيعة والهجرة والمشاركة في الحروب والإقبال على التعلّم وغير ذلك. ثمّ استمرت الدعوة الإلهية لتمر على منعطف صعب وشديد الخطورة فكانت صورة الزهراء عليها السلام وهي تطوف على بيوت المسلمين تذكّرهم بعهدهم للرسول وما جرى في حجة الوداع وكان علياً عليه السلام معها يشدُّ من أزرها. وما وهنت عليها السلام في دفاعها عن حقها وعن تبيين المسار المنحرف الذي دخلت فيه الأمة حتى آخر لحظات حياتها ثمّ كان رحيلها وتغييب قبرها ليكون وثيقة احتجاج خالدة على مدى الزمان.

ثم كان المنعطف الفيصل حينما خرج الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء مع نسائه وعياله فكانت ملحمة الطف العظيمة ((يوم شبهه البعض بيوم القيامة))[1] لما كان فيه من مصائب وكروب يشيب لها الولدان شيباً. وكانت القضية التي قادها الإمام الحسين والتي تمثّلت في طلب الإصلاح لهذه الأمة بكل امتداداتها والتي تجسّدت بشكل ملحمة عظيمة لا مثيل لها قبل الثورة وبعدها. كانت هذه الثورة قد أظهرت الأدوار العظيمة لنساء الطف في الواقعة وبعدها وعلى رأس هؤلاء أخت الإمام الحسين السيدة زينب عليها السلام والتي كانت لها الأدوار الريادية في قيادة القضية الحسينية وفي نشر أفكارها بعد استشهاد الإمام عليه السلام وصحبه الكرام.

في كربلاء نقف وبإجلال على تضحية الرجل والمرأة على حد سواء فكربلاء صورة لتجلي إخلاص المرأة والرجل وتنافس المرأة مع الرجل إلى نصرة الدين وحماية مقدساته ولكن كلّ بطريقته التي تتناسب مع خلقته وعظمته ومع خط السير الرباني. فقد كانت كربلاء صورة رجولية عليا في التضحية والشهادة والفداء وصورة نسائية عليا في الصبر والصمود وفي حمل هموم الرسالة والدفاع عنها وعن كلّ المقدسات التي جاهد من اجل صيانة قيمها السامية الأبطال من الرجال والنساء مع الحفاظ على كلّ القيم التي آمن بها الرجل والمرأة على حد سواء[2].

ويرى كثير من الباحثين والمفكرين الإسلاميين بأنّه لولا وجود النساء في هذه المعركة لما رسخت القضية العاشورائية في الوجدان الشعبي[3] - وهذا لا يعدُّ تغيباً لدور المعصوم عليه السلام في هذا الشأن وغيره -.

والحقُّ أنّ دور المرأة في الثورة الحسينية كان واسعاً متعدد الوجوه ومتعدد العطاءات كما أنّه كان دوراً ثقيلاً في زمن عسير وفي منعطف وعر من التحديات والمصاعب التي عاشها أهل البيت عليهم السلام بل وعاشتها رسالة الإسلام كلّها.

لقد كان من أروع ما خطّطه الإمام الحسين عليه السلام في ثورته الكبرى حمله عقيلة بني هاشم وسائر مخدرات الرسالة معه إلى العراق، فقد كان على علم بما يجري عليهن من النكبات والخطوب، وما يقمن به من دور مشرف في إكمال نهضته وإيضاح تضحيته وإشاعة مبادئه وأهدافه، وقد قمن حرائر النبوة بإيقاظ المجتمع من سباته، وأسقطن هيبة الحكم الأموي، وفتحن باب الثورة عليه، فقد ألقين من الخطب الحماسية ما زعزع كيان الدولة الأموية(٤).

وفي هذا الصدد يقول الدكتور أحمد محمود صبحي: ((ثم رفض- يعني الحسين عليه السلام - إلاّ أن يصحب معه أهله ليشهد الناس على ما يقترفه أعداؤه مما لا يبرره دين ولا وازع من إنسانية، فلا تضيع قضيته مع دمه في الصحراء، فيفترى عليه أشدّ الافتراء حين يعدم الشاهد العادل، على ما جرى بينه وبين أعدائه))(٥).

وأشارت الدكتورة بنت الشاطئ إلى ذلك بقولها: ((أفسدت زينب أخت الحسين على ابن زياد وبني أمية لذة النصر وسكبت قطرات من السم الزعاف في كؤوس الظافرين، وأن كل الأحداث السياسية التي ترتّبت بعد ذلك من خروج المختار وثورة ابن الزبير وسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، ثم تأصل مذهب الشيعة إنّما كانت زينب هي باعثة ذلك ومثيرته))(٦).

وهكذا كان على العقيلة أن تنفذ وصية أخيها وتثبت في وجه تلك الأهوال وأن تحمل قلباً كقلب أبيها في غمار جولاته وتقف كالطود الشامخ في وجه أولئك الذين وقفوا إلى جانب يزيد وجلاّديه الممعنين في انتهاك الحرمات والمقدسات والذين باعوا ضمائرهم لأولئك الطغاة الجناة بأبخس الأثمان(٧).

ومن هنا وجد البحث بان المرأة كانت تقف إلى جانب الرجل وتؤدي دورها الكامل بنفس الروح والعزيمة التي كان الأبطال يخوضون المعارك فيها، وبلا شك فان أهل البيت عليهم السلام يأتون في الطليعة بين أبطال التاريخ، وأنّ زينب ابنة عليّ وفاطمة تأتي في الطليعة

بعد أبيها وإخوتها كما يشهد لها تاريخها الحافل بكل أنواع الطهر والفضيلة والجرأة والصبر في الشدائد وليس بغريب على تلك الذات العملاقة التي التقت فيها الأنوار الثلاثة: نور محمد وعلي وفاطمة ومن تلك الأنوار تكوّنت شخصيتها أن تجسد بمواقفها خصائص النبوة والإمامة وأمها الزهراء التي امتازت بفضلها على نساء العالمين. فقد كان ظن بني أمية ساذجاً عندما تخيلوا أنّ مسيرة الحسين عليه السلام بل ودين النبي صلى الله عليه وآله ينتهي بعد واقعة كربلاء، وما أبدعوه من أسلوب وحشي فيها بل لم يكن يرجى أن تقوم لآل النبي صلى الله عليه وآله قائمة بعد المجزرة التي لا مثيل لها عبر التاريخ، خصوصاً بعدما فني الرجال ولم يبق غير الصبية اليتامى والنسوة والثواكل، لولا زينب الحوراء والتي خبرت الحياة وخبرتها وجربتها وعاشت مأساة أمها فواجهتها بصبر أبيها عليه السلام وحكمته ووعيه، فلم تدع فرصة إلاّ استغلتها لصالح الدين.

المبحث الأول

سبي السيدة زينب عليها السلام وموقفها منه

معنى السبي:

السبي: النهب وأخذ الناس عبيداً وإماءً؛ والسبيّة: المرأة المنهوبة فعيلة بمعنى مفعولة وجمعها السبايا(٨).

ولا يقتصر نهب المرأة المسبية على سلب مالها، أي زينتها مقنعتها وملخصتها التي تغطي بها ظهرها أو سائر جسدها وإنّما كل ما له ارتباط بها كالزوج والابن والابنة فتكون بذلك والهة. والوله: ذهاب العقل والتحير من شدّة الوجد وقد وله بالكسر يوله ولهاً وولهان أيضاً بفتح اللام ورجل واله وامرأة والهة والتوليه: أن يفرّق بين المرأة وولدها وفي الحديث " لا توله والدة بولدها " أي لا تجعل والهاً وذلك في السبايا(٩).

شاءت الأقدار أن تتعرض الحوراء زينب عليها السلام لأحداث جسام منذ طفولتها حتى النفس الأخير من حياتها وأصبحت حياتها محفوفة بسلسلة من الآلام منذ البداية وحتى النهاية. فمن غير المألوف أن يكون الإنسان مستهدفاً للمحن والأرزاء والمصائب منذ طفولته وحتى آخر لحظة من حياته وأن يعيش في خضم الأحداث والمصائب والأرزاء كما عاشت عقيلة الهاشميين التي أحاطت بها الشدائد والنوائب من كل جهاتها وتوالت عليها الواحدة تلو الأخرى حتى وكأنّها وإياها على ميعاد وأصبحت تعرف بأم المصائب أكثر مما تعرف باسمها(١٠).

فقد شاهدت عليها السلام جدّها المصطفى وهو يصارع الموت وأمها وأباها وليس ذلك بغريب ولا مستهجن إذا أصيب أهل البيت بذلك وأكثر منه فان تأثير المصائب والأحداث إنّما يكون حسب جسامتها وما يرافقها ويحدث بعدها على ذوي الفقيد وعلى مجتمعه، وأهل البيت عليهم السلام من أعرف الناس بمقام النبي وأكثرهم انصهاراً بمبادئه ورسالته وبما قدّمه للبشرية في كلّ عصر وزمان ويدركون الأخطار التي ستحيط بالرسالة وبهم ممن لم يخالط الإسلام قلوبهم وممن كانوا ينتظرون وفاته بفارغ الصبر. لقد شاهدت زينب كل ذلك وكانت تتلوى وتتألم إلى جانب أمها وأبيها، وشاهدت محنة أمها الزهراء وبكائها المتواصل على أبيها في بيت الأحزان وبعد أيام معدودات من مواقف القوم وإسقاط جنينها من آثار تلك الصدمة شاهدت أمها جثة هامدة على المغتسل تجهزها أسماء بن عميس وجاريتها فضة إلى مقرها الأخير بجوار أبيها. وظلت تتجرع آلام تلك الأحداث طيلة حياتها وشاهدت بعد أن أصبحت زوجة وأماً لأسرة من أحفاد جدها أبي طالب مصرع أبيها أمير المؤمنين وآثار تلك الضربة الغادرة بسيف البغي والعدوان في رأسه وسريان السم في جسده الشريف ودموعه تتحدر على خديه وهو يقلب طرفه بالنظر إليها تارة وإلى أخويها الحسن والحسين أخرى ويتلوى لما سيجري عليهم من بعده من مردة الأمويين وطواغيتهم. وشاهدت أخاها الحسن السبط أصفر اللون يجود بنفسه ويلفظ كبده قطعاً من آثار السم الذي دسه إليه ابن هند. حتى كانت مصيبتها الكبرى بأخوتها وسراة قومها على صعيد كربلاء واشتركت بأكثر فصولها، ولم يبق غيرها لتلك القافلة من النساء والأيتام والأسرى بعد تلك المجزرة الرهيبة وخلال مسيرتها من كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام عاصمة الجلادين. هكذا كانت حياة السيدة زينب من حين طفولتها إلى الشطر الأخير من حياتها حياة مشبعة بالأحزان متخمة بالمصائب والآلام[١١].

وسوف لن أتطرّق إلى أحداث واقعة الطف لكثرة ما كُتب فيها ولكون المبحث هذا خاصاً بسبي السيدة زينب عليها السلام ومن معها من كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام.

فلمّا قُتل الحسين مكث الناس سبعة أيام إذا صلّوا العصر نظروا إلى الشمس على أطراف الحيطان كأنّها الملاحف المعصفرة من شدة حمرتها، ونظروا إلى الكواكب تضرب بعضها بعضا[١٢].

وقد مطرت السماء يوم شهادة الحسين دماً، فأصبح الناس وكلّ شيء لهم مليء دماً،

وبقي أثره في الثياب مدة حتى تقطّعت، وأن هذه الحمرة التي تُرى في السماء ظهرت يوم قتله ولم تُر قبله(١٣).

فبعد قتله عليه السلام أحاط جيش الأمويين بخيام نساء أهل البيت عليهم السلام، وأضرموا في بعضها النار، فأخذت نساء آل البيت النبوي تعدوا من خيمة محترقة إلى أخرى، وأقدم جيش يزيد ابن معاوية (لعنة الله عليه)على اقتحام الخيام التي تجمّع بها نساء آل البيت فصاحت فيهم السيدة زينب: "ألم يبق فيكم ذو مروءة! إن لم يكن فيكم ذو دين، أما أن دخولكم على النساء في الخيام أمر تشلأه العرب قبل الإسلام"، إلاّ أنهم دخلوا فوجدوا الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام مريضا طريح الفراش، قيّده الجيش الأموي بسلاسل اسمها الجامعة لها حديد يحيط بالعنق والساعدين والمعصمين والقدمين والرجلين ورفعوه إلى الجمل، كما أخذوا رأس الإمام الحسين عليه السلام على رمح وعلّقوها ورؤوس من معه من آل البيت والأمصار، وأمروا الخيول أن تمر على الجسد الشريف.

سيق نساء الحسين وصبيته وجواريه وعيالات الأصحاب وكنَّ عشرين امرأة في اليوم التالي إلى الكوفة، بينما الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام محمولاً في قيوده على جمل ورؤوس أبيه وإخوانه وأبناء عشيرته وأنصارهم أمام الركب. في الطريق إلى الكوفة كانت نساء أهل البيت النبوي يسرن على أقدامهن حول الموكب وهن باكيات وكاشفات للرأس وشاكيات إلى الله حتى وصلن إلى الكوفة حيث كانت السيدة زينب عليها السلام تتولى رعاية موكب السبايا، وكانت تتسم برباطة الجأش، ولم لا وقد شاهدت مقتل ولديْها محمد وعون، وكذلك مقتل شقيقها وأبنائه وكل آل البيت النبوي(١٤).

والى هذه الحال يشير البعض إلى أنّ فاجعة كربلاء لها عدلان رئيسان يكمل احدهما الآخر: عدل القتل والتمثيل والهتك لحرمة هذه الصفوة من أبناء الأمة وعلى رأسهم الإمام الحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وصحبه الكرام. وعدل السبي والأسر والهتك والاستهتار بحرمات هذه النسوة اللاتي يمثلن حرم رسول الله وأهل بيته(١٥). وهذا هو الجانب الأول في هذه المأساة أمّا الجانب الثاني فهو أن كل ادوار نساء أهل البيت عليهم السلام ظهرت في هذه المرحلة، فضلاً عن الدور الإعلامي الكبير والعظيم والخطير فلولا تنقل ركب السبايا

من بلد إلى بلد لما استطاعت النساء تصدير الحقائق في الأمصار والبلدان التي وصلوا إليها. هذا الأمر يضاف إلى ما أظهرته النساء من مرونة عالية في التكيف مع الأحداث فحوّلت النساء حالة السبي من حالة شلل اجتماعي وضغط نفسي فادح إلى حالة عطاء إعلامي ضخم والى حركة ثورية فعالة استطاعت أن تزيح النقاب عن الوجه الأموي المقيت.

وسير بالسبايا في اعتساف وإرهاق ليل نهار وسير بهنّ من خلف الرؤوس عمّا كان يسار بالسبايا في الحروب وكان سير شمر بن ذي الجوشن أميراً لهذا الركب سبباً في أن يصوم أهل البيت عن الكلام، فما نبست منهن نابسة بكلمة ولا أشارت واحدة منهن بإشارة، وكان إذا حدّث احد نفسه بالكلام أو علا صوته بالبكاء قرعه الفرسان بالرماح. وجعل ابن ذي الجوشن كلّما مرَّ ببلد أرسل إليه قبل أن يدخله رجل خارجي خرج على أمير المؤمنين فإذا جازت الكذبة على القوم مرّ بالبلد وإذا لم تجز الكذبة أو خيف البلد مال منه ولم يعرج عليه(١٦).

ومن هنا كان للسبي انعكاسات وأبعاد ايجابية كثيرة على واقع الثورة فلقد كان هدف السلطة الأموية من سبي النساء هو إرسال رسالة إلى كل الذين يفكرون في الثورة على النظام أو الذين لا يدينون بالولاء للحكم الأموي مفادها: إننا لا نرحم أياً كان لو خرج الخارج علينا من أهل بيت الرسول أو سيد شباب أهل الجنة. وكان الأمويون يخططون لرسم صورة مشوهة لهؤلاء السبايا في صورة الذل والانكسار وطلب الرحمة لكن الأمر أصبح عكس ذلك تماماً فهذه كلمات النساء تتوعد الحاكم الظالم وتعاتب الناس بقسوة على تخلفهم عن النصرة ومن ثم فما خطط له الإمام من اصطحاب النساء معه في المعركة كان صحيحاً وحكيماً؛ لأنه أسهم في عرض قداسة الفكرة التي انطلق منها الإمام الحسين عليه السلام وهذه بذاتها كانت رسالة معاكسة للرسالة الأموية وكانت أقوى تأثيراً لما اصطحب المشهد العام من مناظر مؤثرة وصور مؤلمة.

وما أن أطلَّ موكب السبايا والرؤوس ودنت طلائعه من مداخل الكوفة حتى ازدحم الناس في الطرقات ومن على المشارف والنساء على سطوح المنازل للنظر والتطلّع إلى موكب نساء أهل البيت عليهم السلام تتقدمه الرؤوس الشريفة وتعلو الصفرة وجوه الصغار لكنّه على الرغم من كل هذه الأوجاع كان موكباً يعرّف بشمائل الأسرى من خلال معالم الهيبة والوقار التي

جللتهم وابتدأت السيدة زينب خطابها الذي أوضحت فيه خبث ابن زياد ولؤمه بقولها: ((يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر أتبكون؟ فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة... إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم.. ألا وهل فيكم إلا الصلف والنطف، والكذب والشنف، وملق الإماء وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كقصة على ملحودة.. ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون وتنتحبون؟ إي والله فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا... فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدا وبعدا لكم وسحقا فلقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله ورسوله وضربت عليكم الذلة والمسكنة... ويلكم يا أهل الكوفة!. أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم؟. وأيّ كريمة له أبرزتم؟. وأيّ دم له سفكتم؟. وأيّ حرمة له انتهكتم؟. لقد جئتم شيئاً إدّا! تكاد السماوات يتفطّرن منه، وتنشقّ الأرض، وتخرّ الجبال هدّا!!.ولقد جئتم بها خرقاء، شوهاء، كطلاع الأرض، وملء السماء، أفعجبتم أن مطرت السماء دماً؟ ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون... فلا يستخفنّكم المهل، فإنّه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثأر، وإنّ ربّكم لبالمرصاد...))[١٧].

ويسير الموكب متخطياً تلك الحشود من الرجال والنساء إلى قصر الإمارة ليضمها مجلس ابن مرجانة فتجلس متنكرة مطرقة يحف بها موكب النسوة في ذلك المجلس الذميم وهو ينظر إليها ببسمة الشامت المنتصر ويسأل من هذه المتنكرة فلا ترد عليه احتقاراً وازدراءً لشأنه، وأعاد السؤال ثانيا وثالثاً فأجابته بعض إمائها: هذه زينب ابنة علي، فانطلق عند ذلك بكلمات تنم عن لؤمه وحقده وخسته قائلا: الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أحدوثتكم، فردت عليه غير هيابة لسلطانه ولا لجبروته، قائلة: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه وطّهرنا من الرجس إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا ثكلتك أمك يا بن مرجانة. فقال لها وقد استبد به الحقد والغضب: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ قالت: ما رأيت إلا جميلاً، أولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم وتختصمون عنده وستعلم لمن الفلج ثكلتك أمك يا بن مرجانة[١٨].

ثم يأتيه البريد بكتاب يزيد يأمره أن يحمل السبايا والرؤوس والأطفال إلى قصر الخضراء في دمشق عاصمة الجلادين، فيقطع موكب الرؤوس والسبايا مسافة ثلاثين يوما في

عشرة أيام، ويضم العقيلة مجلس يزيد ورأس الحسين بين يديه ينكت ثناياه بمخصرته.

فيزيد بن معاوية لعنة الله عليه كان أمامها متربعاً على كرسي ملكه، وفي أوج قوته، وزهو انتصاره، تحفّ به تيارات جيشه، ورجالات حكمه، وزعماء الشام، وكانت السيدة زينب تعرف فظاظة يزيد وغلظته وتهوره في القمع والإرهاب، وأنّ أي استفزاز له يمكن أن يدفعه إلى أسوأ الإجراءات، فليس له رادع من دين أو عقل. كما أنّ أجواء المجلس كانت مهيأة ومعدّة ليكون الاجتماع مهرجاناً للاحتفال بانتصار الحاكم على ثورة أهل البيت عليهم السلام.

ومن ناحية أخرى قد كانت العقيلة زينب عليها السلام في ظروف بالغة القسوة والشدة جسدياً ونفسياً، فهي لا تزال تعيش تحت وطأة الفاجعة، وتأثيرها الهائل على أحاسيسها ومشاعرها، ولأجواء الشماتة والإذلال التي استقبلتها في الشام وقع كبير على نفسها ومجرد حضورها سبية أسيرة في مجلس عدو ظالم حاقد، قد ارتضع وتوارث عداء أسرتها منذ عهود وعقود وهي في خدرها وصونها وعزها إنّ ذلك وحده كفيل بتحطيم المعنويات وهزيمة الروح[١٩].

تلك المرأة المسبية الأسيرة التي سيقت إلى مجلس يزيد مكتفة بالحبال، تقف أمام الحاكم المتغطرس المتجبر صارخة به: (يا ابن الطلقاء) ومنذرة له: (ولتودنّ أنك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت) وداعية عليه: (اللهم خذ لنا بحقنا، وأنتقم ممّن ظلمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا)، وتتحداه قائلة: (فو الله ما فريت إلاّ جلدك ولا حززت إلاّ لحمك) وتكرر له تحدّيها هاتفة: (فكد كيدك وأسع سعيك) وبصراحة أوضح تبدي احتقارها له، وأنّها أكبر وأسمى من أن تكلّمه أو تخاطبه لولا ما فرضته عليها الظروف فتقول: (ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك)[٢٠].

فمن خلال ما ذكرته أعلاه من كلام للعقيلة زينب عليها السلام نلاحظ مدى شجاعتها وعزتها وبطولتها فمن يداني ابنة داحي باب خيبر في الشجاعة والعزة والبطولة فهي ابنة أبيها تفرغ عن لسانه وروحه.

لذلك تحطّمت كبرياء يزيد أمامها وأنهار غروره وأصابته الحيرة والارتباك فلم يزد أن تمثّل بعد خطابها بقول الشاعر:

يا صيحة تحمد من صوائح ... ما أهون النوح على النوائح

وكأنّه يفسّر خطاب السيدة زينب بأنّه نوع من الانفعال الطبيعي لما تعانيه من مصيبة! فبعكس ما كان يقصده ويهدفه يزيد من دخول السبايا إلى مجلسه، بأن يستعرض قوته، ويؤكّد انتصاره ويوجه إلى أهل البيت عليهم السلام ضربات جديدة من الإذلال والهوان. فقد أنعكس الأمر وتحول المجلس إلى ساحة محاكمة لجرائمه وميدان معركة تكبّد فيها هزيمة نكراء، وفوجئ يزيد بحصول ما لم يتوقع، وفقد السيطرة على نفسه ولم يعد يدري كيف يواجه الموقف، بينما استمرت العقيلة توجّه له ضربات التحدي وسهام التبكيت والاحتقار(٢١).

فبعد دخول السبايا إلى الشام وإيقاف الركب في باب الساعات طويلاً تنكيلاً بأهل البيت وخروج الناس الذين أعماهم الشيطان فرحين مسرورين يضربون الدفوف، وتجاوز يزيد اللعين على الرأس الشريف لسيد الشهداء عليه السلام وتمثله بأبيات شعرية لابن الزبعرى قامت اللبوة الحيدرية وحكيمة البيت الحيدري وعقيلة الوحي والنبوة والإمامة لتقض أركان الدولة اليزيدية فقالت خطبتها الشهيرة ((أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء وأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة)) ومضت تقول: ((أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك اماءك وحرائرك، وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو إليهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمعاقل يتصفح وجوههن القريب والبعيد والداني والشريف)) واستطردت العقيلة تقول: ((ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك وأستعظم توبيخك، ألا فالعجب العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء))(٢٢).

فهذا الخطاب من متممات النهضة الحسينية، ومن روائع الخطب الثورية في الإسلام فقد دمّرت فيه عقيلة بني هاشم وفخر النساء جبروت الأموي الظالم يزيد، وألحقت به وبمن مكّنه من رقاب المسلمين العار والخزي، وعرّفته عظمة الأسرة النبوية التي لا تنحني جباهها أمام الطغاة والظالمين(٢٣).

فقد كان موقف السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد بن معاوية من أروع مواقف الدفاع عن الحق، وتحدي جبروت الطغيان والظلم وكانت خطبتها بمنزلة الكشف الواعي عن المخطط الأموي كلّه في ساحة تكنّ العداء لأهل البيت عليهم السلام وعليه جاءت النتائج معاكسة لذلك فاهتزت الشام وأحدثت خطبتها هزة في مجلس يزيد وراح الرجل يحدث جليسه

بالضلال الذي غمرهم حيث استنكر عمله المقربون له منذ بداية دخول السبايا إلى مجلسه واستنكر الحاضرون في المجلس حينها شعر يزيد بالندم فقال: ((ما كان عليّ لو احتملت الأذى وأنزلته - أي الحسين - معي في داري وكلمته فيما يريد لعن الله ابن مرجانة، فقد بغّض بقتله إليّ المسلمين، وزرع لي في قلوبهم العداوة فبغّضني إلى البر والفاجر بما استعظم الناس في قتلي حسيناً، مالي ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه))[٢٤]، وبعد ذلك أقام يزيد مجلس العزاء في الشام وافرد لأهل البيت عليهم السلام داراً قريبة من قصوره وأذن لهم بإقامة العزاء والنياحة على الحسين عليه السلام من بعد ما كان ذلك محظوراً عليهم فاقمنّ المأتم على الحسين سبعة أيام وكان يجتمع عندهنّ كل يوم جماعة كثيرة لا تحصى من النساء فلم تبق هاشمية ولا قرشية إلاّ لبست السواد حزناً على الحسين عليه السلام.

المبحث الثاني

دور السيدة زينب عليها السلام في إكمال الرسالة الحسينية

كان الحسين يمتلك قوة إيمانية صلبة ثابتة هي أساس حركته ومسيرته البناءة إيمانه بالله تعالى وحرصه على تثبيت سنن الله وقيمه ومبادئه على الأرض كانت الغاية التي يسمو إليها فنهضته لم تأتِ ارتجالاً أو جزافاً بل جاءت من منطلق إيماني ثابت راسخ وجسّدها في أقواله وأفعاله، وكان قراره مبنياً على طاعة الله في أمره لأنّ الله شاء أن يراه قتيلاً وشاء أن يرى عياله سبايا وهذا القتل والسبي إرادة إلهية في إصلاح الانحراف المقصود والعمى المتعمد على مدى الدهور وفي كلّ الأوقات إلى قيام يوم الدين، فكان الاختيار الرباني لهذا النوع من النضال الفريد (الحسين وزينب)؛ فمنذ النشأة علما بذلك مسبقاً وقبلا الأمر الإلهي وتمرّنا خلال العقود الستة من عمرهما الشريف إلى أن حصل تحدي الباطل السافر على الله، فقبلا التحدي وكانا جند الله على الأرض في مقارعة جند الجهل والشيطان، وانتصر الحق بدم الحسين وقيد زينب، وذهبت عنجهية الباطل إلى مزبلة التاريخ تلوث من يتلمسها وتهزم من يحذو حذوها على مدى التاريخ وفي كل الأزمان.

وكان الحضور النسائي متميزاً في نساء عرفن بالعلم والمعرفة والبلاغة والفصاحة والصبر الجميل إلى غير ذلك وبذلك نجح الرجل (الإمام وأنصاره) في تضحيته كما نجحت المرأة (زينب عليها السلام) في التبليغ والإعلام الموجه ولم تكن الأدوار التقليدية للنساء كالأمومة

والزوجية عائقاً أمام تحقيق نجاح أوسع ضمن دائرة الأهداف العامة ابدا بل كانت هذه الأدوار سبباً لإضفاء مزيد من الحزن والتفجع على ما جرى في الطفوف فهؤلاء النساء قدمن الغالي والنفيس وضحين بالولد والأخ والزوج لنصرة الثورة في زمن تقاعس فيه الأشاوس من الرجال عن نصرة الإمام الذي كانوا يسمعون استغاثته وبهذا تحوّلت الأدوار التقليدية التي تضجر منها المرأة المعاصرة إلى ادوار رسالية ومحطات انطلاق لرسم هوية ثائرة للمرأة المسلمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فتمثّل دور السيدة زينب عليها السلام في إكمال رسالة الحسين عليه السلام بأنّ حافظت على عيال الحسين وأطفاله، فقد قامت بجمعهم ومواساتهم، ثم حراستهم في الليل والسهر عليهم بعد ذلك اليوم العسير يقول السيد محسن الأمين: ((وكان لزينب عليها السلام في واقعة الطف المكان البارز في جميع الحالات وفي المواطن كلها، فهي التي كانت تمرض العليل وتراقب أحوال أخيها الحسين ساعة بساعة وتخاطبه وتسأله عن كل حادث، وهي التي كانت تدبر أمر العيال والأطفال، وتقوم في هذا مقام الرجال))[٢٥].

وكان لها دور بارز في الدفاع عن كلّ من كان معها في الطف ولا سيما الإمام السجاد عليه السلام، فقد أنقذته عليه السلام من القتل في مجلس عبيد الله بن زياد في الكوفة حينما وقف السجاد وقفته الشجاعة أمامه، فهدده عبيد الله بالقتل، وأمر جلاوزته بقتله فتعلّقت به وقالت: يا ابن زياد، حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: والله لا أفارقه، فان قتلته فاقتلني معه، وفي رواية ابن طاووس: أن الإمام قال لابن زياد: (أبالقتل تهددني يا بن زياد أما علمت ان القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة[٢٦].

أمّا في مجلس يزيد الطاغية، فكان لها صولة عندما حاول أحد الحضور أن يأخذ فاطمة بنت علي عليه السلام بقوله ليزيد: يا أمير هب لي هذه الجارية[٢٧]، فدار بينها وبين يزيد حوار طويل بعد أن تعلّقت بها فاطمة طالبة النجدة منها يكشف عن حقيقة مبدئها في الدفاع عن الرسول.

ومن أدوارها عليها السلام أيضاً أنّها تابعت المسيرة الحسينية والنهج المحمدي فلم تترك فرصة لفضح يزيد إلاّ استغلتها، فقد فضحت جيش عمر بن سعد، وأسكتت أهل الكوفة ووبختهم، وتهجمت على ابن زياد الطاغية تدعو عليه بالفقد والموت، وتوبخه، وهذا هو موقف صاحب الثورة، وصاحب الحق والقضية التي لا يتخلى عنها بأغلى الأثمان.

أمّا قولها ليزيد: ((فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، وفو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تدرك أمرنا ولا تدحض عنك عارها وهل رأيك إلاّ فند وأيامك إلاّ عدد، وجمعك إلاّ بدد يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين))[٢٨]، فكلمات أظهرت فيها روح الثورة على يزيد وحكمه، وبدت لا تهزها الحوادث التي جرت، بل واصلت الطريق والنهج لكي يبقى ذكر أهل البيت ويمحى يزيد وآل أمية من ذاكرة التاريخ.

وقد أشار إلى كلامها ومدى تأثيره المستشرق الألماني ماريين إذ يقول: ((أنا أتعجب من تدبير الحسين واستشرافه للمستقبل في مرافقة النساء والأطفال لهذا السفر الخطر؛ لأنّ ما فعلته زينب في الشام غيّر الأوضاع بشكل كامل بحيث أصبحت الشام التي كانت مشهورة بسبّ علي وأبنائه، مادحة لأهل بيت علي، وأقيمت في أنحائها مجالس ومحافل لذكر مصائب آل علي وتبيين مناقبهم))[٢٩] هذا في المستقبل القريب، وأمّا في المستقبل البعيد فلا شك بأنّ خطبة زينب المنقطعة النظير، خلّدت عاشوراء، وأبلغت نداء الحسين إلى العالم، وأنجته من اعلام العدو المسمومة وجعلت النهضة تستمر باستمرار الحياة.

وعند تسلّم السيدة زينب مهام قيادة الأمة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام نزلت إلى ساحة المعركة وجلست إلى جسد الحسين تخاطب الله عز وجل بصبر وإيمان لا يفوقه صبر بعد أن وضعت يديها الشريفتين تحت جسده الطاهر فرفعت الجسد مخاطبة الله تعالى: (إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى) وخاطبت جدها رسول الله (يا جداه يا رسول الله صلى عليك مليك السماء، هذا حسين بالعراء مقطع الأعضاء مسلوب العمامة والرداء وبناتك سبايا...) وبينما هي في هذه الحال كان عمر بن سعد يحوم حولها وحول جسد الحسين يهمُّ في حز رأس الحسين ليقدمه لقادته كي ينال رضاهم بغضب الله فالتفتت إليه السيدة زينب مخاطبة (أي عمر... ويحك، أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه) فبكى وخضبت لحيته بالدموع، فقد علّمت السيدة زينب الأمة من خلال هذا الحديث كيفية التهذيب بالتأنيب لنفوس عاشت عمرا بمجالس الوعظ والإرشاد ولكنها لم تشبع من الملذات فأزلها الشيطان إلى تفضيل فتات الدنيا على نعم الآخرة[٣٠].

وكان من أدوارها أيضاً عليها السلام اهتمامها بتربية النفس في أحلك الظروف وأصعبها بأشكالها المختلفة على الرغم من أنّها كانت في حالة أسر وسبي مضن، وبعد قتل أخيها

الإمام الحسين وإخوتها وأهل بيتها وحرق خيامهم صمدت السيدة زينب وثبتت على حالة جهادية ممتثلة لأمر الباري عز وجل فضلاً لما تمتلكه من قوة إيمانية وتربية نبوية فرضت عليها مخاطبة الظروف والأشخاص بأسلوب علاجي لتنفع به الأجيال القادمة ولتقدّم بذلك صوراً ناصعة بكيفية التعامل مع الذين باعوا ضمائرهم بأبخس الأثمان ومن أغرّتهم مظاهر ترف الحياة الدنيا الزائلة ونسوا الآخرة وهم الذين باعوا آخرتهم بدنياهم وقبلوا بالباطل دون الحق وغيّروا المفاهيم الكونية وساروا بركب الضلال طمعاً وخوفاً من دون حساب لقوة الله فتعاملت عليها السلام مع الحدث بروية وعلم ومعرفة ودراية دون أن تكترث لمظاهر الظلم والجور وأنواع العنف فقابلت الباطل بتربيتها المحمدية وبلاغتها العلوية وشجاعتها الفائقة. واستمرارية لمنهجية النهضة الحسينية كانت إدارتها للمعركة الإعلامية التي قادتها بتأييد إلهي وتدبير رباني بصلابة وتحد وإصرار على رفع كلمة الله ودحض كلمة الباطل، فاستخدمت أسلوباً تربوياً خاصاً لكلّ نوع من أنواع النفسيات التي مرّت بها خلال فترة السبي ليكون ذلك عبرة تسير من خلالها الأمم في بناء مجتمعاتها والحفاظ على كرامتها وعزتها ودحض الشر والانتقام من الظلم ودفعه وحتى رفع الظلم عن المجتمع ومحاسبة مقترفيه وهم على سدة الحكم وحفظ كرامة الإنسان مهما بلغ الظلم من بغي واستكبار(٣١).

ومن أدوارها عليها السلام أيضاً عملها عليها السلام على إصلاح البنية الفكرية للمجتمع المسلم فليس من الغريب أن يكون في المجتمع الإسلامي بنية فكرية تحتاج إلى الإصلاح بعد أن عملت على صبغ حياتها بدم ابن بنت رسول الله وهي غير آبهة بما يؤول إليه هذا الحدث من نتائج لا تنتهي آثارها إلى يوم الوعد الموعود ولذا كان إخراج الحسين عياله يعدُّ أدوات جراحية عملت على استئصال الأمراض التي أصابت فكر المسلم فكوّنت له بنية فكرية عليلة تستسيغ قتل ابن بنت نبيها وتعذر القاتل فيما فعل. ومن هنا يتضح لنا أهمية وجود العقيلة زينب في كربلاء وذلك بتقويضها هذا الفكر الهدّام وإصلاح البنية الفكرية للمسلمين بتقديم معطيات قرآنية ونبوية استطاعت أن تعيد للمسلم هويته الإسلامية الملتصقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية(٣٢).

فنراها عليها السلام كالجبل الشامخ في مجلس يزيد الذي سعى جاهداً على تثبيت هذا المعتقد في أذهان الناس حينما التفت إلى مجموعة من وجهاء الشام فقال لهم: ((أتدرون من أين أتى ابن فاطمة وما الحامل له على ما فعل والذي أوقعه فيما وقع؟ قالوا: لا، قال: يزعم أن أباه

خير من أبي وأمه فاطمة بنت رسول الله خير من أمي وجده خير من جدي وانه خير مني وأحق بهذا الأمر مني فأمّا قوله: أبوه خير من أبي فقد حاج أبي أباه إلى الله عزّ وجلّ وعلم الناس أيهما حكم له وأمّا قوله: أمه خير من أمي فلعمري أن فاطمة بنت رسول الله خير من أمي وأمّا قوله: جدّه خير من جدي فلعمري ما احد يؤمن بالله واليوم الآخر وهو يرى إن لرسول الله فينا عدلاً ولا نداً ولكنّه إنّما أُتي من قلة فقهه ولم يقرأ: ((﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾[٣٣]))[٣٤] وكان الذي دفع يزيد إلى هذه المقولة هو افتضاح أمره حينما خاطبته السيدة زينب بقولها: ((أظننت يا يزيد حين أخذت علينا بأقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أنّ بنا على اللّه هوانا وبك عليه كرامة، وأن ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوثقة والأمور متسقة....))[٣٥].

وكان للسيدة زينب عليها السلام دوراً كبيراً في توثيق هذه الملحمة الإنسانية الكبيرة[٣٦] فقد جاهد بنو أمية على طمس آثار مأساة الطف وكسب معركة التوثيق حينما يكون الشهود هم ممن تمّ تصفيتهم سواء أكانوا موالين أم مخالفين وفي المقابل كان الإمام الحسين عليه السلام قد اعدّ العدة لتلك المصادر التوثيقية حينما اخرج عياله وأطفاله إلى كربلاء وعلى رأسهم الإمام زين العابدين وولده الإمام الباقر وبنات النبوة عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ومن هنا نلمس خطورة المأساة ودقة هذا الخروج للنساء والأطفال أمّا بقية الشهود من الخصم وهم الذين تلطخت أيديهم بدم الحسين ممن حضروا في كربلاء مكثرين للسواد فاغلبهم لم يكونوا أدوات توثيقية بمثل ما قدّمه عيال الحسين عليه السلام وعليه يبقى وجود النساء والأطفال والإمامين السجاد والباقر عليهما السلام هو المادة الأساسية لتوثيق مصائب كربلاء.

وإنّ من ابرز الآثار التي أظهرها إخراج النساء إلى ارض كربلاء هو الدفاع عن حق عليّ عليه السلام في الوصاية والخلافة التي اغتصبت كونها أول الحقوق التي انتهكت وضيّعت وان الأمة التي اغتصبت حق الله في تعيين الخليفة وجعله في مقام الوصاية لرسول الله وتعديهم على هذا المقام ودفع صاحبه الشرعي عنه وإعطائهم أنفسهم الحق في الاختيار والتعيين على الرغم من نهي القران عن ذلك لحريّ بها أن تنساق إلى ما هو أعظم من الانتهاكات لمقام الخلافة وهو سفك دماء حجة الله ووصي رسول الله وسفك دماء أهل بيته وولده

وأصحابه. ومن هنا كان دفاع بنات النبوة عن الشريعة وإرجاع الحق إلى موضعه ولو من باب الاحتجاج على الخصم فكان أول الدفاع على لسان العقيلة زينب التي استطاعت كما ذكرنا أعلاه تحريك القلوب التي أطبق عليها الرين فأظهرت عظمة حرمة رسول الله الذي لم يراعوا له حرمة ثم بينت التلازم بين حرمته وحرمة أهل بيته حتى عظم من أهل الكوفة الندم ودعوا بالويل والثبور على أنفسهم.

لقد أدركت السيدة زينب عليها السلام ضرورة تصحيح مسار سنة رسول الله في الأمة بل يكاد يكون هذا من أهم وابرز نتائج خروج بنات رسول الله مع الحسين إلى كربلاء لذا رأت عليها السلام لزوم تصحيح هذا المسار وان يصحو المسلمون من هذه الغفلة المطبقة على عقولهم وقلوبهم فكان ذلك عن طريق وجود السيدة زينب التي وقفت تدقُّ بكلماتها مع الحاكم طاغية بني أمية تلك الجدران التي أحاطت بعقول المسلمين فأصبحوا صماً بكماً فهم لا يعقلون إلى المستوى الذي جعلهم يعتقدون أن لا حرمة لرسول الله وأهل بيته وليس لهم منزلة عند الله تعالى(٣٧). لذلك تقول عليها السلام مذكرة يزيد الطاغية لأنّ الصراع ليس بين الحسين عليه السلام وإنّما الصراع بين النور والظلام بين الخير والشر بين الصلاح والفساد ومن ثم فان سنة الإمهال التي سنّها الله تعالى في حكمه لعباده مردها إلى أنّ الله تعالى حينما مكّنهم من هذا الملك فأملى لهم بالقوة والمال وعبيد الدنيا إنّما كان لهدف وغاية وهي أن يزدادوا اثماً ولهم عذاب عظيم وبهذا يكون إعادة مسار السنة النبوية إلى وضعها الصحيح حينما يدرك المسلمون حقيقة هؤلاء الطواغيت في كل زمان وعصر فينبذونهم ويتبرأون منهم ولا يتمسكون إلاّ بمحمد وأهل بيته عليهم السلام.

فالسلام على بضعة الزهراء، وسليلة بيت الكساء، والإنسية الحوراء، زينب المقدسة ورحمة الله وبركاته، وصلى الله وسلم على سيدنا خاتم النبيين محمد وآله الطاهرين والحمد لله رب العالمين

الخاتمة:

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث الآتي:

١- تبيّن لنا أنّ منهجية السيدة زينب وبياناتها المتعددة بعد واقعة كربلاء كانت تثبيتاً وترسيخاً لمفاهيم الرسالة المحمدية التي اختارها الله دون سواها لحمل هذه المفاهيم

ونشرها للعالم أجمع، والتي أراد قادة الردة اجتثاثها من أساسها وتفتيتها بتهميش تعاليم الرسالة والاستهزاء بمفاهيمها والعودة بالناس إلى عصر الجهالة والانحطاط والتخلف والقهر واستعباد الناس وخلق الفوضى من خلال التمييز العنصري والطبقي وعبادة الأوثان التي هي رمز جهالتهم وأباطيل أعمالهم وبث الرعب بين صفوف الناس وإرهابهم بالقوة والتجويع في قبول جهالتهم، ولكن الله أبى ذلك فمكّن عليهم امرأة قوية بقوة الله، فقيهة بكلام الله، عالمة بمعرفة الله، سيدة بيت رسول الله، وتمكّنت بإيمانها وثباتها ومصداقيتها وفصاحتها وبلاغها من أن تكون سيفا قاطعا لألسنة الردة والكفر والنفاق والبغي وتصحيح الرأي العام بنور كلام الله ونهج رسول الله، فكان بيانها منطلقا للتمييز بين الخير والشر والحق والباطل فأعطت مقارنة بين الوجه المشرق للحق وضرورة التمسك بأوتاده وبين الوجه المشوه للباطل وضرورة ارتداد الخلق عليه وعدم التلوث بخرافاته وجهالته بعد أن نوّر الله طريق الناس كل الناس بحقيقة مفاهيمه وصدق تعاليمه، فحفظت السيدة زينب بمنهجيتها المقدسة كرامة الإنسان وعزته وحقوقه من عبث العابثين وبغي الظالمين فكان سبيها إعلاء لكلمة الله، وقيدها تحريرا لعباد الله، وبيانها تثبيتا لأركان دين الله.

٢- إنّ ما اقترفه الطاغية يزيد من سفكه لدماء العترة الطاهرة، فأنّه مدفوع بذلك بحكم نشأته ومواريثه فجدّته هند هي التي لاكت كبد سيد الشهداء حمزة، وجده أبو سفيان العدو الأول للإسلام، وأبوه معاوية الذي أراق دماء المسلمين وانتهك جميع ما حرّمه الله، فاقتراف الجرائم من عناصره وطباعه التي فطر عليها إلا أنّ الطاغية بسفكه لدماء العترة الطاهرة الم يسفك إلاّ دمه ولم يفرِ إلاّ جلده، فإنّ تلك النفوس الزاكية حيّة خالدة وقد تلفّعت بالكرامة، وبلغت قمة الشرف، وأنّه هو الذي باء بالخزي والخسران.

٣- أظهرت الحوراء زينب عليها السلام سمو مكانتها وخطر شأنها، فقد كلّمت الطاغية بكلام الأمير والحاكم فاستهانت به واستصغرت قدره، وتعالت عن حواره، وترفّعت عن مخاطبته، ولم تحفل بسلطانه، لقد كانت العقيلة على ضعفها وما ألمّ بها من المصائب أعظم قوة واشد بأساً منه تتوعّده بأنّ مصيره هو مصير أسلافه عتبة وشيبة والوليد وأنّه لاحق بهم في نار جهنم.

٤- كشفت في خطبتها عليها السلام عن حكم يزيد الباطل، وأعلنت أمام الحاضرين بأنّ المُلك والسُّلطة إنّما لأهل البيت عليهم السلام حينما تقول: (حين صفا لك مُلكُنا وسُلطاننا)، وهي بذلك تكشف عن قضيّة سياسيّة بشجاعة فائقة، وتتدرّج بحديثها لتُبيّن أنّ الرسول صلى الله عليه وآله جدّها هو الذي أرسى دعائم الدِّين بأحكام أمر الإمامة والخلافة في صفوة عترته وأهل بيته، فعليٌّ إمام ووصي ووارث، ومن بعده ابناه وسبطا رسول الله الإمام الحسن فالإمام الحسين عليهما السلام، وخطاب السيدة زينب عليها السلام يكشف عن شجاعتها، إذ خاطبت من لا يجرؤ أحد على تكليمه وفضحته أمام الخلائق، وكشفت عن أحقّيّة أهل البيت عليهم السلام في تولّي السّلطة، وإنّه وأباه مغتصبان لها.

٥- إنّ الحوراء زينب عليها السلام أخذت على عاتقها أدواراً مختلفة يصعب على المرء حصرها، فكان من أهمها تكريس الأهداف التي من أجلها نهض الإمام الحسين عليه السلام وثار على الطغيان؛ وذلك بعد شهادته، فقامت بتكميل ذلك الدور وحافظت على استمراريته كما شهده التاريخ والمصادر.

هوامش البحث

(١) الحسين وبطلة كربلاء: محمد جواد مغنية / ١٣٢.

(٢) ينظر: نساء الطفوف: كفاح الحداد /٩، ١٠.

(٣) ينظر: نساء الطفوف /١١، بطلة كربلاء /٣٥٤، دور المرأة في النهضة الحسينية: السيد محمد باقر الحكيم/٦٧.

(٤) ينظر: السيدة زينب، بطلة التاريخ ورائدة الجهاد في الإسلام: باقر شريف القرشي / ٢٠٨.

(٥) في رحاب السيدة زينب /١٣٤

(٦) بطلة كربلاء/ ٦١٧ و ١٨٠/ نقلاً عن باقر شريف القرشي / ٢٠٩

(٧) ينظر: من وحي الثورة الحسينية/ ٧٥

(٨) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير ٣٤٠/٢

(٩) ينظر: العين: الفراهيدي ٨٨/٤، لسان العرب: ابن منظور ٥٦١/٣

(١٠) ينظر: من وحي الثورة الحسينية /١٢٩

(١١) ينظر: المصدر نفسه/ ٢٣٤

(١٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢١٠/٣، تاريخ الخلفاء ٨٠، الصواعق المحرقة ١٩٢
(١٣) ينظر: ذخائر العقبى ١٤٤-١٤٥-١٥٠، تاريخ دمشق ٣٣٩/٤، الصواعق المحرقة ١١٦ و ١٩٢، الخصائص الكبرى ١٢٦، ينابيع المودة للحمويني ٣٢٠ و ٣٥٦
(١٤) ينظر: سبايا آل محمد: السيد نبيل الحسني/١٤٧-١٥٩، نساء الطفوف: كفاح الحداد١٦١-١٧٣
(١٥) ينظر: دور المرأة في النهضة الحسينية /٦٤، نساء الطفوف/١٦٣
(١٦) ينظر: في رحاب السيدة زينب السيرة والتاريخ ١٧٣/٣-١٧٥
(١٧) مقتل الحسين عليه السلام: عبد الرزاق الموسوي /٣١١،٣١٢، وينظر: نساء الطفوف/١٢٨
(١٨) ينظر: من وحي الثورة الحسينية / ٨٠
(١٩) ينظر: المرأة العظيمة قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي عليها السلام / ١٩٩.
(٢٠) ينظر: المصدر نفسه /٢٠٨.
(٢١) ينظر: نفسه / ٢٠٩.
(٢٢) ينظر: نساء الطفوف/١٣٨،١٣٩.
(٢٣) ينظر: موسوعة سيرة أهل البيت: باقر شريف القرشي / ٣٤٠.
(٢٤) تاريخ الطبري ١٩/٧
(٢٥) أعيان الشيعة: محسن الأمين ٧/ ١٣٧.
(٢٦) ينظر: الملهوف على قتلى الطفوف: ابن طاووس /٢٠٢.
(٢٧) ينظر: الأمالي: الصدوق، ٢٣١
(٢٨) الملهوف على قتلى الطفوف /٢٠٣
(٢٩) الحسين وبطلة كربلاء/ ٢٠٣.
(٣٠) ينظر: نساء الطفوف/١٢٢،١٢٣، دراسة تحليلية في منهجية السيدة زينب عليها السلام:د. عصام عباس /٢٣
(٣١) ينظر: دراسة تحليلية في منهجية السيدة زينب عليها السلام/٥٣
(٣٢) ينظر: سبايا آل محمد/١٦٩،١٧٠
(٣٣) سورة آل عمران/٢٦
(٣٤) البداية والنهاية: ابن كثير ٢١٣/٨
(٣٥) الاحتجاج: الطبرسي ٢/ ٣٠٨
(٣٦) ينظر: سبايا آل محمد/١٨٤،١٨٥
(٣٧) ينظر: المصدر نفسه/٢١٨-٢٢٣

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الاحتجاج: ابن منصور الطبرسي، المكتبة الشاملة، ايران
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين ابن الاثير الجزري،ط٢،دار الكتب العلمية /١٤٢٤هـ.
- أعيان الشيعة: محسن الأمين، ط٥، دار التعارف للمطبوعات / ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- الأمالي: الصدوق، ط١،مؤسسة البعثة،قم،١٤١٧هـ
- تاريخ دمشق: ابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/١٤١٥هـ
- تاريخ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)،دار الأميرة للطبع، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥
- الحسين وبطلة كربلاء: محمد جواد مغنية، دار الارقم، بيروت /١٩٩٨
- حياة الإمام الحسين عليه السلام: باقر شريف القرشي، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ط١/ ١٩٧٥
- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: محب الدين احمد الطبري، دار المعرفة، بيروت
- سبايا آل محمد: السيد نبيل الحسني، ط١، مؤسسة الاعلمي، بيروت/١٤٣٣ه-٢٠١٢م
- السيدة زينب بطلة التاريخ ورائدة الجهاد في الإسلام: باقر شريف القرشي، ط١، دار المحجة البيضاء، لبنان / ١٤٢٢هـ-٢٠٠١.
- سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي،ط١،دار الكتب العلمية /١٤٢٥هـ
- العقيلة زينب عزة وإباء: الشيخ محمد حسن يزبك، دار المحجة البيضاء، د.ت.
- مقتل الإمام الحسين عليه السلام: عبد الرزاق الموسوي، ط١، مؤسسة النور /١٤٢٣هـ
- الملهوف على قتلى الطفوف: رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، دار الأسوة، ايران/١٤١٤هـ.
- من وحي الثورة الحسينية: السيد هاشم الحسني، دارُ القَلَم بيروت ـ لبنان.
- نساء الطفوف: كفاح الحداد، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت/١٤٣٢هـ-٢٠١١م
- ينابيع المودة لذوي القربى: الشيخ سليمان القندوزي،ط١،دار الأسوة للطباعة /١٤١٦هـ.